﴿ الفصل السادس ﴾

نماذج ممن تولى منصب الحسبة :

- **نماذج ممن تولى منصب الحسبة ...**

4- حسبة مصر

5- حسبة القاهرة.

6- حسبة الشام.

(1) قاضي القضاة شرف الدين أبو حفص عمر بن عبد الله بن صالح السبكى المالكى (585– 669 هـ/1189 – 1270م)

قال عنه المعاصرون انه كان فقيها دينا ، درس بالمدرسة الصالحية ، وأفتى وتولي حسبة القاهرة ، ثم القضاء المالكى عام 663 هـ / 1264م عندما جعل لكل مذهب قاضيا ، ورضي بتوليه هذا المنصب القضائي بعد امتناع شريطة ألا يأخذ عليه أجرا ، وتتلمذ علي يده وروى عنه الحديث والفقه بدر الدين بن جماعة وغيره من أساطين العلم في زمن سلاطين المماليك.[1].

(2) القاضي أبو الحسن بن أبي عمرو عثمان بن علي القابسى (ت 670 هـ/1271م)

كان فقيها علي مذهب مالك ، عاش بالإسكندرية ومات بها عن عمر يناهز المائة عام ، عرف بالخير والصلاح وفقما ذكرته المصادر ، وقد تولي حسبة الإسكندرية أيام الظاهر بيبرس[2].

(3) أبو المظفر منصور بن سليم بن منصور بن فتوح الهمدانى الاسكندانى (607 – 673هـ/1210م – 1274م):-

كان فقيها شافعيا شهد له العاصرون بالعام والفضل ، درس الحديث وحفظه ، ودرس الفقه ببغداد ثم عاد إلي الإسكندرية ، فدرس بمدارسها وصنف تاريخا لها ، وتولى حسبتها كذلك في عهد الظاهر بيبرس[3].

(4) علاء الدين أحمد بن العلامة تاج الدين عبد الوهاب بن خلف بن محمود بن بدر العلامى بن بنت الأعز (ت 699 هـ/ 1299م):-

درس بالمدرستين الكهارية والقطبية ، ولى الحسبة فأحسن الأداء ، وذكرت المصادر أنه كان أديبا فصيحا جميلا فيه مكارم أخلاق ومروءة ، لطيف المزاج بساما شهما جزلا ، ويحتمل أن يكون قد تولي الحسبة بين عامي (670 – 677 هـ/1271م – 1278م) في عهد السعيد بركة خان بن بيبرس[4].

---

(1) ابن كثير: البداية والنهاية، ج13 ص 260.

(2) بدر الدين العيني: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ج2 ص 96.

(3) العيني: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ج2 ص 136 – 137.

(4) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج1 ص 904. أبو المحاسن: المنهل الصافي، ج1 ص 378 – 381.

(5) نجم الدين محمد بن إدريس القمولي الشافعي (ت 709 هـ/ 1309م):-

قال عنه المقريزي انه كان "صالحا عالما بالفقه والتفسير والحديث " ، وهناك محتسب أخر ذكر اسمه : القاضي نجم الدين أحمد بن محمد بن مكي بن أبي الحزم بن ياسين القمولى، تولى حسبة مصر وكان مشكورا ، ومدحه الأدفوى في الطالع السعيد : بأنه من الفقهاء الأفاضل والعلماء المتعبدين والقضاة المتعففين ، وافر العقل حسن التصرف ، سمع من ابن جماعة وغيره ، واشتغل بالفقه والنحو والأصول بالصعيد ثم بالقاهرة ، وألف وشرح كتبا كثيرة وأضاف بحوث مفيدة ، وكان صدوقا أهل ثقة ، تولى الحكم بقمول – وهي بلدة في البر الغربي بنيل قنا – ثم ناب في الحكم بالقاهرة ومصر ، وتولى الحسبة بمصر ، واستمر في النيابة والحسبة حتى وفاته ، وكان يدرس ويفتي ويكتب ، وشهد له معاصروه بأن " ما في مصر أفقه منه وكان حسن الأخلاق كثير المروءة " ، وكانت وفاته عام (727 هـ/1327م)[1]. فهو غير القمولي الأول مع أنه بنفس الاسم واللقب ولكن سابقه توفي قبله بنحو عشرين عاما ، وخلفه بعد وفاته بهاء الدين الشنجاري المتوفى عام (720هـ/1321م) والذي لم يذكر شيئا عن أدائه في حسبته أو سلوكه ، ولم أرى له تفصيلا فيما تحت يدي من المصادر الأخرى[2].

(6) القاضي حسن بن نصر بن حسين بن جبريل بدر الدين بن نبيه الدين بن نصر الأسعردى الأنصاري:-

محتسب القاهرة (توفي 709 هـ وقيل 710 هـ /1309م – 1310م) ترقي في الخدمة إلي أن ولي الحسبة ونظر الدواوون ، ومات بمصر عن سبعة وسبعين عاما ، وكان أول من ذكر من عائلته التي تولي الحسبة فيها أكثر من شخص[3].

---

(1) ابن كثير: البداية والنهاية، ج13 ص 260. ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج1 ص 324. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج6 ص 75. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج8 ص 92. أبو المحاسن: المنهل الصافي، ج2 ص 164 – 166.

(2) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج2 ص 84، 213، 214.

(3) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج2 ص 84، 95. ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج2 ص 133.

(7) نجم الدين أحمد بن محمد بن علي بن الشيخ الرفعة مرتفع بن حازم بن إبراهيم بن العباس الأنصاري البخاري ، المعروف بابن الرفعة ، الفقيه الشافعي المصري (645هـ-710هـ/1247م -1310م):-

درس الفقه علي يد عبد الرحيم القنائي وابن بنت الأعز وابن دقيق العيد وغيرهم ، وكان في أول حياته فقيرا فباشر وظيفة في احدي الجهات ثم ولاه الشيخ الصائغ قضاء الواحات فحسنت حاله وولي أمانة الحكم بمصر ، وأشتغل بالفقه وأشتهر حتى صار يضرب به المثل وانتهت إليه رياسة الشافعية في عصره ، وكان فصيحا مفوها وله مباحث فائقة ودرس وأفتى وعمل كفايات وافية علي بعض الكتب الفقهية المعتبرة ، وولي حسبة مصر مدة وألف مصنفات هامة تفيد المحتسبين مثل "حكم المكيال والميزان"

ناب في الحكم مدة ثم عزل نفسه ، وكان حسن الشكل محبا لفعل الخير ، كثير الإحسان والخدمة لطلبته يسعي لقضاء حوائجهم ويساعدهم بماله وجاهه ، فقد أضحي له مطبخا للسكر يتمول منه ووقفا علي سبيل ماء بالسويس ، وكان كثير الصدقات مكبا علي الاشتغال بالعلم حتى داهمه المرض ، وقد تولي الحسبة بمصر إلي وقت وفاته[1]، وقد عارض فكر ابن تيمية وندب لمناظرته[2] عام (707 هـ/1307م) ولكن بمنطق فقهي ونزاهة علمية ، حتى أثني عليه الشيخ الجليل بعدها قائلا : " رأيت شيخا تتقاطر فروع الشافعية من لحيته " ومدحه الكثيرون من كبار العلماء في عصره ، فشهد له قاضي القضاة تقي الدين السبكى (ت 756 هـ/1355م) وكان أعلم أهل الأرض بمذهب الاشعري ، مبينا مكانته الرفيعة فقال : أن شيخ الإسلام ابن دقيق العيد كان لا يخاطب أحدا إلا بكلمة يا إنسان عدا ابن الرفعة الذي كان يخاطبه بقوله " يا فقيه " ، وقال عنه الاسنوى : ما أنجبت مصر بعد الحداء افقه منه ، وان " له في المحافل مباحث مشهورة وفي المشاهد مقامات مأثورة" [3]، وكانت وفاته في عام (رجب 710 هـ/ نوفمبر 1310م) .

(1) ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج1 ص 303 – 306. أبو المحاسن: المنهل الصافي، ج2 ص 82 – 83.

(2) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج2 ص 40، 94.

(3) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج6 ص 34. ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ج1 ص 304.

(8) قاضي القضاء مجد الدين عيسي بن عمر بن خالد بن الخشاب المخزومي الشافعي (ت 711 هـ/1311م):-

استقر في حسبة القاهرة في عصر المنصور قلاوون في الفترة بين سنتي(678 هـ – 689 هـ / 1279م – 1290م)، وأضاف إليه وكالة بيت المال ووكالة السلطان وعدة مباشرات أخري فعظمت مهابته ، ولكن عيب عليه اجتماعه الكثير بالوزير الشجاعي ، وكان يلام علي ذلك ، ومما يذكر له أنه كان يكتب في التوقيع : حسبنا الله فقط ، دون كلمة ونعم الوكيل ، مخافة أن تعود الكلمة عليه فيحاسب بها أمام الله ، وهو جد بدر الدين إبراهيم بن الخشاب (698 هـ – 775 هـ) ،الذي سنذكره في حينه ، وكان مجد الدين أول من ولي الحسبة من أسرته ، وظل في ولايته نائبا للحسبة ووكيلا للسلطان ، حين طلب منه الناصر محمد أن يأخذ له الفتوى بجمع المال لمواجهة التتار ، وتلقى حفيده البدر علي يده العلم وسمع عليه الفقه والحديث[1]، فقد كان عالما فقيها مهابا ، قبل أن يكون محتسبا عارفا بحسبته .

(9) محمد بن عثمان نجم الدين البصروى (المتوفى عام 714 هـ/1314م):-

تذكر المصادر أنه تفقه ودرس ثم تقدم عند الناصر محمد لخدمته عندما كان بالكرك ، فولاه نظر الخزانة بدمشق والحسبة ، والوزارة وأنعم عليه كذلك بالإمارة ، وظل علي عهده تواضعا فلم يغير ملبوسه وهو أمير طبلخاناة ، ولاحظنا طبقا لكتابات المعاصرين أن هناك أخ لنجم الدين هو فخر الدين أحمد البصروي ، قد أحدث خلطا عند البعض بينه وبين أخيه في سنة الوفاة وتولية الحسبة ، حيث أن الأخير هو الذي تولي الحسبة وكانت وفاته عام (723هـ/1323م)[2].

وهناك بصروي ثالث هو أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن هبة الله بن عطاء بن ياسين الفقيه الحنفي البصروى، ولد عام 630 هـ/ 1232م ومات عام (718هـ/1318م)، درس وحدث ، وقال عنه المعاصرون أنه كان شيخا فاضلا وفقيها عالما ، في دروسه وإفتائه[3].

---

(1) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج1 ص 670 ، 897 ، ج2 ص 113. ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج3 ص 285.

(2) ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج4 ص 165.

(3) ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج1 ص 85.

(10) القاضي زين الدين أبو بكر بن نصر بن حسين بن حسن بن حسين الاسعردي (ت 720 هـ/ 1320م):-

تولي الحسبة ووكالة بيت المال، وخلفه في حسبة القاهرة ابن عمه نجم الدين محمد بن الحسين الأسعردي[1]، وهكذا تولي ثلاثة من نفس الأسرة حسبة القاهرة في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وجميعهم من القضاة دارسي الفقه والعارفين بالشرع الحنيف.

(11) نجم الدين محمد بن حسين بن علي الاسعردى (المتوفى عام 737 هـ/ 1336م):-

أخذ ولاية الحسبة بعد وفاة ابن عمه زين الدين كما ذكرنا ، وكان فقيها عالما ولكنه ضعيف الأداء، فأمده الناصر محمد بوالي الشرطة علاء الدين المروانى لضبط أحوال السوقة ، وعندما توفي أحيط بتركية وأخذت كلها للخزانة السلطانية ، حتى مال وديعة كان لأيتام تحت حجره بلغ نحو خمسين ألف درهما ، وعلي الرغم انه من غير المقبول القول بشرعية أخذ أموال التركات لصالح بيت المال ، فان ذلك نصح به الحاكم وطبق علي تركة النجم الاسعردى وحرم منها أولاده وأهل بيته[2].

(12) ضياء الدين يوسف بن أبي بكر بن محمد الشامي ، المعروف بالضياء بن خطيب بيت الآبار، (ت 761هـ/ 1360م):-

لم تذكر المصادر سنة ميلاده ، ولكنها احتفت كثيرا بهذا القاضي المحتسب واثنت عليه بما يستحق ، فقد "اشتهرت نهضته وكفايته وأمانته " وفوضت إليه الحسبة حين اخفق نجم الدين الاسعردى عام 736 هـ/ 1336م، وقبلها بعد امتناع ، حيث كان ناظرا للمارستان والأوقاف ، فخلع عليه بحسبة مصر وندب للقيام بمهمة مكافحة الغلاء في الأزمة التي فشل فيها سابقه ، فأحسن الأداء وظهرت همته وكفائته وقام بذلك علي خير وجه ، وساعده شاد الدواوين الأمير ألاكز فلم يهاب احد ، وعاقب كل من خالف السعر الذي حدده ، ولم تفتح أي شونة إلا بإشرافه ولا بيع منها قمح إلا بأمره[3].

---

(1) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج2 ص 213. ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج1 ص 486.

(2) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج2 ص 394 ، 414.

(3) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج2 ص 394 ، 414.

أضاف إليه السلطان الناصر محمد حسبة القاهرة أيضا بعد وفاة نجم الدين الاسعردى في (جمادي الأول 737 هـ/ ديسمبر 1336م) ، وأصبح بذلك بمجمع الحسبتين ونظر المارستان والاحباس ، وقد أحسن لمنافسة ابن الطباخ الذي سعي لتولي حسبة القاهرة ، فأعطاه حسبة الدخان علي الحلوبين والطباخين وغيرهم من أرباب الدخان ، وكان يقوم بمهامه بدرية كبيرة وحزم بالغ ، فينظم الأسواق ويرتب القبانين في جهات معينة ليكون أمر الوزن والبيع تحت إشرافه ومباشرته[1].

مع ذلك خلع من الحسبة واستقر عوضه في حسبة القاهرة شهاب الدين بن الأعز في شهر شوال من نفس العام (مايو 1337م) بعد بضعة أشهر من توليه الحسبة ن ولم تذكر المصادر سببا لذلك ، كما عزل من نظر الأوقاف عام (738هـ/1338م) ، ضمن من أعفاهم القاضي عز الدين بن جماعة عندما أقال جميع نواب الحكم الذين تولوا مناصبهم في عهد ابن القزويني لفساده ، وكان من المهام القضائية التي أسندت إليه وسجلت لكفائته وحسن أدائه ، التحقيق فيما رمي به قاضي الإسكندرية عماد الدين البلبيسي الذي اتهم بالاستيلاء علي مال الأيتام وسجن ظلما ، فاثبت الضياء كذب ذلك الادعاء الباطل وبرائة القاضي المظلوم منه،فتم الإفراج عنه في شهر ربيع الأخر من العام المذكور (أكتوبر 1337م[2]).

أعيد الضياء إلي حسبة القاهرة مرة أخري ونظر المارستان عام (752هـ/1351م) عوضًا عن ابن الأطروش، الذي سيأتي ذكره ، وكانت له معه واقعة اثبت فيها عدم دراية الأخير بالنظارة بسبب جهله وسؤ تصرفه ، وتولي الضياء فنهض بأحوال المرضي بعد أن كانت متردية تعاني الإهمال وعدم الرعاية، وعمر أوقافها وأحسن إدارتها ، وأعطي له كذلك نظارة الدولة بالإضافة لما بيده من الحسبتين والمارستان وكان في كل هذا " ناهضا أمينا " ولكن كما عزل الضياء من القضاء بسبب إن الذي عينه كان فاسدا فاخذ بذنبه ، كذلك قبض عليه " واهين واركب علي حمار ، ثم نفي بعد ضربه بالمقارع .. ومصادرته " بسبب أن الذي ولاه مناصبه كان الأمير الكبير صرغتمش ، فلما فقد نفوذه وولي زمانه ، طال العقاب كل من تولي منصبا من جهته وتحمل القاضي الفاضل والمحتسب القدير جريرة ذنب لم يرتكبه ، ولم تشفع له عند الدولة خدماته الجليلة وأمانته التي كانت ظاهرة في مهامه

(1) المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج2 ص 102.
(2) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج2 ص 421، 432، 443.

الحسبية والقضائية التي قام بها ، وتوفي في (شهر ذي الحجة من عام 761هـ/أكتوبر 1360م) ، وقد سجل له المعاصرون كل التقدير والاحترام.

هذا وقد تذكر المصادر أسماء محتسبين دون بيان شئ عن مسلكهم في تأدية مهامهم الحسبية أو تنوه عن علمهم وطبيعتهم الإنسانية ، ولهذا سوف أتعرض لبعض هؤلاء كما وجدوا دون تفاصيل.. منهم:-

الشهاب أحمد بن الحاج علي الطباخ:-

سعي في حسبة القاهرة منافسا للضياء كما علمنا آنفا ، فولاة حسبة الدخان إرضاء له ،وتعد هذه الحسبة تابعة لمحتسب القاهرة الذي كان باستطاعته أن يجعله نائبا له علي أرباب الدخان[1]، مهمته مراعاة تنفيذ أوامره الصادرة إليهم .

(13) الشيخ أبو المعالي الدلاص:-

تولي حسبة الحسينية خارج القاهرة وظل بها حتى وافته المنية عام 717هـ / 1317م ، والشيخ تاج الدين السكري الذي تولي حسبة القلعة عام 740هـ / 1339م ، وكان وكيلا لبيت المال وناظرا للخزانة السلطانية ، وباشر الخطابة بالجامع الحاكمي مثل أبيه وجده من قبله.

(14) الشيخ علي بن حسن المر واني:-

أعطي حسبة الخبز أيام الغلاء في أواخر حكم الناصر محمد بن قلاوون[2]، وجميع هؤلاء تابعين في حسبتهم لمحتسب القاهرة ، فهو الذي يعينهم ويشرف علي أدائهم كنواب عنه في القيام بمهامهم المتخصصة .

(15) نجم الدين محمد بن اسعد بن حمزة القلانسى التميمي (المتوفى عام 748 هـ / 1347م)

كان يكتب في ديوان الإنشاء ، وباشر حماية ديوان الجيش ، وكان بيده أوقافا وأنظارا كثيرة ، وهو مؤتمنا عليها أهلا لها ، وقد بالغ المعاصرون في الثناء عليه[3].

---

(1) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج2 ص 414.

(2) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج2 ص 414، 415. ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج4 ص 68 ، 291.

(3) ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج4 ص3.

(16) شهاب الدين محمد بن علاء الدين أحمد بن قاضي القضاء تاج الدين بن بنت الأعز:-

هو حفيد الشيخ الجليل قاضي القضاء تاج الدين بن بنت الأعز السابق ذكره والمتوفى عام 665 هـ ، ولم تذكر المصادر عن هذا الحفيد سوى استقراره في حسبة مصر عوضا عن القاضي ضياء الدين ابن خطيب بيت الآبار عام (737هـ/ 1336م) مكث بها حتى خلع بناصر الدين فار السقوف ، الآتي ذكره فيما بعد ، عام 744هـ /1343م ، وفقد كذلك نظر الاحباس باستقرار علم الدين بها عوضًا عنه في ذات العام[1].

(17) الشريف شرف الدين أبو الحسن علي بن حسين بن محمد الحسيني (691هـ - 757هـ / 1262م – 1356م):-

نقيب الأشراف ووكيل بيت المال ، تولي حسبة القاهرة عام 738هـ / 1336م ، وكان فقيها شافعيا ، قرأ النحو وحدث ودرس بالمشهد الحسيني والمدرسة الفخرية ، وكانت له شروحات وتوضيحات علي كتب الفقه الشافعية الهامة مثل كتاب الحاوي الصغير في الفروع للشيخ نجم الدين القزوينى المتوفى سنة 665هـ ، واقر كتبه العلماء بمكة[2] عام (751هـ /1350م)، وتروى عنه المصادر نادرة حدثت ، ذلك انه أراد التدريس في مدرسة الأمير اقبغا عبد الواحد ، فأقام سماطا عندما اكتملت ، ذا كلفة عالية " علي أن يلي تدريسها ، فلم يتم له ذلك[3]"،وهناك أيضا الشريف عاصم بن محمد الحسيني (المتوفى 782هـ /1380م) ،وكان نقيبا للأشراف ، ولي نقابة الأشراف مرتين ، وتولي حسبة مصر عام 780هـ /1378 وخلع عليه بالنقابة في نفس العام المذكور بعد خلعه من الحسبة بجمال الدين محمود العجمي ، ولكنه عاد إليها بعد مسك الأمير بركة والإطاحة بأعوانه ومنهم جمال الدين سنة 782هـ / 1380م ، وتوفي بعد ذلك في ذات العام[4].

---

(1) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج2 ص 421.

(2) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج3 ص 32.

(3) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج9 ص 143، 144.

(4) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج3 ص 332 ، 333، 368. ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج1 ص 265، ج2 ص3، 9، 16.

(18) علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن الاطروش الحنفي (ت 758هـ / 1357م):-

محتسب القاهرة ، ولم يكن يحبه الناس ، فقد رجمته العامة سنة 749هـ / 1348م لضربه من باع الخبز بأقل من سعر السوق ، بسبب تواطئه مع أصحاب المصلحة في رفع السعر ، فثار الناس به وقذفوا بابه بالحجارة حتى ركب الوالي عليهم ، ومع ذلك عين هذا المحتسب الفاسد في قضاء العسكر " ولم يعرف أحدا قبله ولي هذا بمصر " ، إلا انه خلع من حسبة القاهرة ونظر المارستان عام 752هـ / 1351م بعودة الضياء كما ذكرنا آنفا ، بعد إثبات انه (عامي) واعترف علي نفسه " انه لا يدرى الحساب ، وانه عاجز عن المباشرة ، وألزم نفسه ألا يعود إليها أبدا " وشهد عليه كتاب وقعه القضاء يتضمن قوادح شنيعة ، ولكن الأمير النائب دافع عنه بعذر أقبح من الذنب فقال : " ياقوم ! هذا رجل عامي وقد أخطا ، وما بقي إلا الستر عليه[1]".

كان هذا المحتسب السيء قد انفرد بتولي شان المارستان ففسدت أحواله ، ذلك لأنه كان يبذل الهدايا لأهل الدولة ويهمل عمارة رباع وقفه " حتى تسعثت " ، فخلعه الأمير صرغتمش عنه وأنقذه بتولية الضياء ، ولخص المقريزى مواقف هذا المحتسب حين أرخ لوفاته عام 758هـ فقال : " توفى علاء الدين .. بن الاطروش الحنفي ، محتسب القاهرة وقاضي العسكر .. وكان فيه كرم ، وهو معدود من رجال الدينا في معناه ، وله منازعات مع الضياء الشامي ، في نظر المارستان وحسبة القاهرة .. وكان أبوه يبيع السقط " .

أراد أن يثبت أصل هذا المحتسب الوضيع، الذي كان أبوه سوقي يبيع أحشاء الذبائح ، وهو نفسه كان يتعييش من بيع (الخرائط) في بدء أمره – وهي أجزاء من جلود الحيوان تستخدم كالقفازات والجوارب – وهذا في مقارنة واضحة مع وضع المحتسبين العلماء ، الذين يدرسون العلم والفقه علي أيدي آبائهم وأجدادهم ، ويتوارثون العلوم في أسرهم.

(19) ناصر الدين المعروف بفار السقوف:-

تولي حسبة مصر عوضا عن شهاب الدين بن بنت الأعز عام 744هـ / 1343م ، كما سبق القول ، وقد أطلق هذا اللقب عليه لكونه فتني، وكان ضامنا للمعاملات في الدولة ، وقد اضر بالناس ضررا كبيرا بما فرضه عليهم من المظالم فكرهوه ، ووقفوا للسلطان الناصر محمد عام 737هـ

(1) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج2 ص 772، 835 ، 836، 876.

/ 1336م مطالبين بخلعه من الضمان وسجنه وان يكتب " علي قيده مخلدا " ، فرسم بضربه وسجنه ومصادرة أمواله ، وتخفيض ما كان يؤخذ منهم من مظالم في الضمان[1].

بعد وفاة الناصر أطلق سراحه بل وأعيد إليه ما كان صودر منه لبيت المال ، وهو مبلغ أربعين ألف درهم ، وخلع عليه بالحسبة عام (744هـ / 1343م) كما علمنا ، ثم أعيد لضمان الجهات أيضا سنة 750هـ / 1349م ، وليس هذا فحسب وإنما صار هو المتحدث والمسيطر علي جميع الجهات في الدولة ،بتوصله للأمراء ، فزاد في جشعه وأمعن في ظلمه ، حتى بلغت المعاملات التي قررها علي الناس نحو ثلاثمائة ألف درهم في السنة، واحدث في دار البطيخ ودار السمك وغيرها مقررات فادحة في المعاملات عام 751هـ / 1350م ، فشكي الناس للسلطان مرة أخرى ، فضرب بالمقارع وسجن وأخذت جملة من أمواله ، ولكن إلي حين ، فسرعان ما أفرج عنه وعاد إلي ضمان الجهات وزيادتها بلا رادع ، فقد كان الرجل واصلا إلي كبار الدولة متواطئا معهم لاسيما الوزير منجك الذي تمكن منه " تمكنا زائداً[2]".

وفي عام 752هـ / 1351م وقف الناس للسلطان يشكون الفار الضامن" ورفعوا فيه مائة قصة " فقبض عليه وضربه بالمقارع ضربا مبرحا ، وصادره وأخذ منه مالا كثيراً، ولكن مثله لا يرتدع فيظل في غيه ، حتى يطال بلاءه كل الناس ويعم الظلم البلاد ويعاني منه كل العباد.

(20) عبد الرحيم بن الحسن بن علي بن جعفر بن الحسن بن الحسين الشيخ العلامة جمال الدين أبو محمد القرشي الاموى الاسنوى الشافعي (704هـ - 772هـ / 1304م – 1370م):-

يعود نسبه إلي عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أمية بن عبد مناف ، ولد باسنا في صعيد مصر ، وحفظ القران بها ، ثم قدم القاهرة عام 721هـ / 1321م ، وتفقه علي يد شيوخ الشافعية الأجلاء مثل السنباطى والسنكلوني وتقي الدين السبكى وغيرهم ، وبرع في الفقه والحديث والعربية والتاريخ وغير ذلك من العلوم ، مع مكارم الأخلاق والعفاف والنسك الذي عرف عنه ، وتفقه علي يديه جماعة من الأئمة ، حيث درس وحدث وألف التصانيف المفيدة ، تولي نظر دار الطراز وحسبة

(1) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج2 ص 420.

(2) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج3 ص 806.

القاهرة عام 759هـ / 1358م عوضا عن قطب الدين بن عرب ، ولكنه عزل نفسه عنها سنة 762هـ / 1361م لاختلافه مع الصاحب ابن قزوينة كما اشرنا من قبل وكان عالما فاضلا مشكور الأداء حسن البلاء في كل ما تولي من المهام والمسؤوليات[1].

(21) إبراهيم بن أحمد بن عيسي بن عمر بن خالد بن عبد المحسن بن نشوان القاضي بدر الدين أبو إسحاق المخزومي المصري الشافعي ابن الخشاب (698هـ - 775هـ "أو 778هـ"/ 1298م – 1373م "أو 1376م"):-

كان بارعا في الحديث وسمع من جده العلامة مجد الدين عيسي المتوفى 711هـ والذي تولي الحسبة ، وسبق ذكره ، اشتغل بدر الدين بالفقه وبرع فيه وأفتي ودرس وسمع عليه شيوخ وعلماء أجلاء ، ولي نيابة الحسبة بالقاهرة ثم القضاء بالوجه البحري ، وناب في الحكم بالقاهرة وتولي القضاء بحلب عام 743هـ / 1342م والمدينة المنورة ، ثم عاد إلي القاهرة ، وشهد له المعاصرون بأنه كان خيرا كريما فاضلا ، فصيحا بصيرا عارفا بالشروط الشرعية في كل ما قام به من أحكام ، وله تصانيف في المناسك ، وخطب وعلم بالمنابر ، وكان مشكور السيرة في كل ذلك ، وتوفي عن نحو ثمانين عاماً[2].

(22) برهان الدين إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن عيسي بن بدران الاخنائي (ت 777هـ/1376م):-

تولي حسبة القاهرة عام 762هـ /1361م عوضا عن الشيخ عبد الرحيم الاسنوي ، فسار في حسبته أحسن سيرة ، إذ انه من بيت علم وفضل فأخوه هو علم الدين محمد بن تاج الاخنائي المتوفى سنة 763هـ ، وقد خلع عليه واستقر في قضاء المالكية بعد وفاة أخيه علم الدين ، ولكنه خلع عن حسبة القاهرة بصلاح الدين البرلسي وكذلك عزل عن نظارة المارستان وحل مكانه تاج الدين

(1) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج3 ص 42، 60. ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج1 ص 265، ج2 ص 463. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج6 ص 223، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج 11 ص 114. المنهل الصافي، ج7 ص 242 – 245.

(2) ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج1 ص 13. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج6 ص 237، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج 11 ص 126. المنهل الصافي، ج1 ص 48، 49.

الجمالي ، وكان قد تولي الحسبة ونظر الخزانة ، وناب في الحكم قبل أن يتولي قضاء المالكية مستقلا عام 763هـ / 1361م ، واستمر به حتى وفاته ، قالت المصادر انه كان شافعي المذهب كأبيه ثم تحول مالكيا مثل عمه ، وسمع ودرس علي كبار العلماء ، وكان " مهيبا صارما قوالا بالحق قائما بنصر الشرع ، رادعا للمفسدين " ، وله مصنفا في الأحكام الشرعية[1].

(23) محمد بن محمد بن عبد الواحد:-

الارتاحي الأصل – وهى مدينة ارتاح من أعمال حلب بالشام – المصري بهاء الدين بن فتح الدين بن المفسر (ت 778هـ/1376م) ، سمع وحدث وتعلم اللغة والنحو وصحيح البخاري ، تولي وكالة بيت المال ، وحسبة مصر والقاهرة مرات عديدة، وكان مشكور السيرة ، مهابا في مباشرته حسب ما ذكره معاصروه ، ومات وعمره يناهز ثمانين عاماً[2].

(24) شمس الدين محمد بن علي بن أحمد بن أبي رقيبة المصري (700- 778هـ/1300م -1377م):-

المعروف بخطه المجود ، تولي حسبة مصر عام (752/1351م)، لازم الشيخ عماد الدين بن العفيف المجود حتى أتقن طريقته في الخط المنسوب ، وتخرج علي يديه آخرين برعوا في التجويد مثل شهاب الدين غازي قلطوبغا التركي (ت 776هـ)، كما قام بتأديب السلطان الكامل شعبان صغيرا ، وقال المعاصرون انه درس الفقه والعلوم علي يد شيوخ أجلاء ، وناب في الحسبة ثم تولاها في العام المذكور ، وكان من المقربين لأهل الدولة[3] .

وهناك جماعة من المحتسبين لم تذكر المصادر سوى توليتهم وعزلهم ولم تعطى مؤشرات عن كيفية مباشرتهم ، من هؤلاء:-

---

(1) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج3 ص 60. ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج 1 ص 159. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج1 ص 58 – 59.

(2) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج3 ص 232، 233. ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج1 ص 76، 225.

(3) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج2 ص 838، ج3 ص 262، 299. ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج1 ص 177، 221.

(25) شمس الدين محمد بن الصاحب:-

الذي كان مدرسا في الصاحبية والشريفية بمصر وخلع عليه بحسبة القاهرة ، في شهر جمادى الآخرة عام 758هـ / مايو 1357م بعد وفاة ابن الاطروش ، ثم توفي فجاة وهو راكب فوق بغلته في نفس العام[1].

(26) سراج الدين عبد الله بن محمد بن معز:-

الذي ولي حسبة الإسكندرية وشهادة بيت المال ، وتوفي بالإسكندرية عام 761هـ / 1359م عن عمر يناهز مائة عام[2].

(27) صلاح الدين عبد الله البرلسى المالكي(ت764/1362م):-

خلع عليه واستقر في حسبة القاهرة عوضا عن البرهان الاخنائي عام 763هـ / 1361م ، وكان مدرسا بالمدرسة الاشرفية ، وعندما توفي بيعت كتبه بمائة ألف درهم[3] مما يشي بمدى علم هذا الرجل الفاضل.

(28) محي الدين محمد بن صدر الدين عمر:-

الذي استقر في حسبة القاهرة عوضًا عن علاء الدين بن عرب عام 769هـ / 1367م ، ولكنه مات بعد بضعة أشهر في نفس العام[4].

(29) الشيخ نور الدين بن أحمد بن عبد الوارث البكري:-

الذي ولي الحسبة بمصر فأزاحه عنها زين الدين شعبان ابن الاثارى عام 799هـ / 1397م يبذل المال[5] .

---

(1) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج3 ص 33، 35.

(2) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج3 ص 75.

(3) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج3 ص 73، 94.

(4) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج3 ص 156، 168.

(5) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج3 ص 879.

(30) قاضى القضاء الحنفي جمال الدين محمود القيصري (المتوفى عام 799هـ/1396م):

من أشهر المحتسبين الذين حظوا برصيد كبير من حب الناس بمصر، وكانوا يطالبون برجوعه للحسبة كلما عزل عنها ، تولي حسبة القاهرة بعد عزل شمس الدين الدميري عام 778هـ / 1376م ، ثم عزل وعاد الدميري ثانيا ، فثار العامة ضده ووقفوا للسلطان مطالبين بعودة جمال الدين عام 779هـ /1377م فرجع وأضيفت إليه حسبة مصر ونظارة المارستان والتحدث في الأوقاف عام 780هـ / 1378م ، ثم أطيح به في نكبة الأمير بركة كما علمنا من قبل ، وحل الدميري عوضه في حسبة القاهرة عام 782هـ / 1380م ، ولكن العامة ثاروا علي الدميري ورجموه ، فرجع القيصري إلي الحسبة في نفس العام ، وفرحوا به فرحا زائدا " وكادوا يحملون بغلته وهو عليها ، واتلفوا من ماء الذي صبوه عليه .. شيا كثيراً[1]".

ولكنه عزل عنها إذ غضب برقوق عليه في العام التالي بعد نقله كلاما صدر عنه في حق القضاء ، فاستغاث الناس من الأوضاع المتفاقمة وقتئذ وطالبوا بعودة جمال الدين ، فخلع عليه بحسبة القاهرة ثانيا في أواخر سنة (783هـ/1382م[2]).

وجعل له نظر الأوقاف كلها بمصر وساعده نائب الحسبة همام الدين عبد الواحد السيوسي العجمي في قضاء الحنفية بالإسكندرية عام 787هـ / 1385م[3]. ولكن المال لعب دوره في إزاحة جمال الدين مرة أخري عن حسبة القاهرة بالنجم الطنبدي عام (789هـ/1387م)، الذي دفع ألفا من الدنانير الذهبية ثمنا لشرائها[4]، ومات جمال الدين قاضي قضاة الحنفية عام (799هـ /1396م) مشكور السيرة ، كان ناظرا للجيوش وشيخا الشيخونية ، وقد تولي وعزل عن الحسبة بالقاهرة مراراً

(1) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج3 ص 383، 395. ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج2 ص 4-9.

(2) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج3 ص 447 - 449. ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج2 ص 47 - 49.أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج11 ص 208.

(3) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج3 ص 469، 471، 490، 503، 536. ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج2 ص 88، 125.

(4) المقريزي:السلوك في معرفة دول الملوك،ج3 ص 314. ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج2 ص 4-9.

، وجمعت له هذه الوظائف الثلاث التي لم تجمع لغيره، وذكره المعاصرون بأحسن الصفات ، فقد "كان من رجال الدهر حزمًا وعزمًا ومعرفة وعقلا وفضلا"، وارتقي من بعد فقر إلي حياة موسرة وخلف موجودا كبيرا وكتبا حسنة ، وثمانية أبناء منهم العلامة صدر الدين أحمد بن العجمي (ت833هـ) وقد حسبة القاهرة كذلك مثل أبيه ، وكانت وفاة جمال الدين في العام المذكور[1].

(31) علاء الدين علي بن سديد الدين بن سليمان بن خالد بن الوليد:-

المعروف بابن عرب، أو هو علاء الدين علي بن عبد الوهاب بن عثمان بن محمد بن هبة الله بن عرب (المتوفى عام 780هـ / 1378م)، هناك ثلاثة معروفين باسم (ابن عرب).

(32) أولهم قطب الدين بن عرب:-

استقر في حسبة القاهرة بعد وفاة الصاحب شمس الدين سنة 758هـ / 1357م ، ثم عزل عنها بالاسنوى عام 759هـ / 1358م ، ولم تذكر المصادر شيئاً عن أدائه أو علمه أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج11 ص 208[2].

(33) والثاني هو علاء الدين بن عرب:-

استقر في حسبة القاهرة عوضا عن صلاح الدين البرلسي بعد وفاته عام 765هـ / 1363م ، ثم عزل عنها بمحي الدين ابن الصدر عمر ، ونظر الخزانة السلطانية سنة 769هـ / 1367م بعدما انتزعها من أحمد بن عبد الرحمن شرف الدين المالكي قاضى العسكر ، فلزم الأخير بيته وكف بصره حزنا إذ لم يكن لديه وظيفة أخرى غيرها[3]. ورصدت المصادر سؤ أداء علاء الدين بن عرب هذا في الحسبة وعدم رضاء الناس عنه ، فطالبوا بعزله عام 775هـ / 1373م ، واستجاب لهم السلطان فخلعه ببهاء الدين بن المفسر ، ولكن ما لبث أن أعاده لحسبة القاهرة ثانيا ،وظل بها حتى وفاته آخر عام 780هـ /1379م كما ذكرنا[4].

---

(1) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج3 ص872، 885. ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج1 ص 198، 199. أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج12 ص 119، 158.

(2) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج3 ص 35 ، 42.

(3) ابن حجر: إنباء الغمر، ج1 ص 314.

(4) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج3 ص 91 ، 156، 168، 350. ابن حجر: إنباء الغمر، ج1 ص 76.

(34) والثالث هو شرف الدين بن عرب:-

استقر محتسبا بمصر عام (782هـ / 1380م)، وعزل بعد ذلك بصلاح الدين خليل بن عبد المحسن عام 783هـ / 1381م ببذل المال في شراء المنصب ، وذكرت المصادر أن ابن عرب هو أيضا كان يستدين ليبرطل أهل الدولة ، وتمت إعادته إلي حسبة مصر وخلع عنها صلاح الدين خليل سنة 784هـ / 1382م بمال وعدهم أن يقوم به ، وأضيف إليه وكالة بيت المال أيضا ، ولكنها سحبت منه وعزل كذلك عن الحسبة لعدم قدرته علي سداد المال الذي وعد به ، ورفع الدائنون شكواهم فيه إلي الأمير الحاجب " فاخرق به وبالغ في أهانته[1].

(35) نجم الدين محمد الطنبدى أو الطنبذى:-

" الطنبذي" نسبة إلي قرية طنبدا بالصعيد بمركز مغاغة ، وهناك قرية أخري بنفس الاسم بالوجه البحري عند شبين الكوم ، ويوجد طنبدي أخر باسم جمال الدين ابن عرب الطنبدي ، والشيخ العالم بدر الدين الطنبدي الشافعي (750- 809هـ/1349 – 1406م) الذي قال عنه المعاصرون أنه برع في الفقه والعربية ودرس وأفتي ، وكان مفرط الذكاء فصيح العبارة ، ولكن أشيع عنه معاشرة (أهل التهم) وشنعت فيه القالة ولم يعبا بذلك واستمر في أعماله علي ما يعاب عليه حتى وفاته في العام المذكور ، وقد جاوز السنتين عامًا[2].

ولكن الذي ذكر اسمه كثيرا هو نجم الدين محمد بن عمر الطنبدي (ت 800هـ / 1397م) والذي كان وكيلا لبيت المال واستقر في حسبة القاهرة بعد دفع مبلغ " خمسين ألف درهم فضة .. عنها ألف دينار" (789هـ / 1387م)[3] ، وظل بها حتى خلع عنها بعد ضربه لعدم سداده المال وعد بالقيام به عام 791هـ / 1389م واستقر بها موقع الدست بهاء الدين بن ألبرجي[4] سنة

(1) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج3 ص 454، 467 – 468. ابن حجر: إنباء الغمر، ج2 ص 9، 261.

(2) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج4 ص 47– 48. ابن حجر: الدرر الكامنة، ج 2 ص 363. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج 7 ص 163. أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج13 ص 164. المنهل الصافي، ج2 ص 51 –52. السخاوي: الضوء اللامع، ج2 ص 56.

(3) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج3 ص 566، 634.

(4) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج3 ص 661، 748، 766، 773.

(794هـ / 1392م)، الذي نافسه عليها وكانا يتنازعانها فيليها من يستطيع أن يدفع فيها أكثر من صاحبه ، وتمكن الطنبدى من الاحتفاظ بالحسبة رغم المنافسة الضارية مع الطامعين الآخرين ، وكذلك وكالة بيت المال ونظر الكسوة حتى عام 798هـ / 1394م فأخذها منه الأمير الحاجب علاء الدين الطبلاوى .

وذكر المقريزى انه هو شخصيا والقاضي المؤرخ بدر الدين العيني ، قد دخلا إلي حلبة المنافسة مع الطنبدى في عام 802هـ /1399م ، ولكن ليس نجم الدين وإنما جمال الدين محمد الطنبدى المعروف بابن عرب (المتوفى سنة 846هـ /1442م) ، والذي اتهم بالبذل لشراء الحسبة واستقر في حسبة القاهرة عوضا عن البدر العيني في العام المذكور ، وسوف نعود إلي ذكره في حينه ، وليس هذا فحسب بل في شهر شوال من العام ذاته أعيد إلي حسبة القاهرة شمس الدين محمد المخانسي (المتوفى عام 806هـ / 1403م) وصرف الطنبدى، الذي كان قد نالها مرة بعد أخري ، وهذا المخانسي هو محمد الشمسي النحاس المعروف بالشمس البخانسي او المخانسي القاهري وقد ولي الحسبة مرارا بالبذل أيضا ، وقالت المصادر انه شخصا عسوفا و " كان جائراً في أحكامه[1]" ، ليرسم صورة هزلية للحسبة في النصف الثاني من العصر المملوكي ، ويظهر مدى التهافت علي التكسب من وراء هذه الولاية الشرعية التي كان يجب أن تظل مهيبة ، ولكن تلاعب المنتفعين بها هوى بالمفهوم المثالي للحسبة إلي ارض الواقع التطبيقي السئ . وإذا كنا بصدد التقييم لأداء نجم الدين الطنبدى ، فقد بذل المال في الحصول على الحسبة كما ذكرنا ، ولم يكن محمود السيرة ، وحكم عليه معاصروه بأنه " كان غاية في الجهل[2]" .

(36) القاضي تاج الدين محمد بن محمد بن محمد المليجي المعروف بصائم الدهر (ت 796هـ / 1393م):-

كان شاهد خزانة الخاص ، ونظر الاحباس وخطب في مدرسة السلطان حسن ، وقد استقر في حسبة القاهرة عام 783هـ / 1381م ، ولكنه خلع عنها بمطالبة الناس بعودة جمال الدين

(1) أبو المحاسن: المنهل الصافي، ج1 ص 417. السخاوي: الضوء اللامع، ج10 ص 38.

(2) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج3 ص 566، 639. ابن حجر: الدرر الكامنة، ج 2 ص 261. أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج12 ص 165.

العجمي[1] إليها ، وقالت المصادر عنه : " كان خيرا دينا مشكور السيرة " مات عن نحو سبعين سنة ، وكان كثير النسك ، قليل الكلام " بهج الزي، جميل الهيئة ، يسرد الصوم دائما " .

(37) سراج الدين عمر بن منصور بن سليمان القرمي أو الفيومي الحنفي (ت 809هـ/ 1406م):-

الذي جعله جمال الدين القيصري علي حسبة مصر كما علمنا ، درس الفقه والتفسير بالمنصورية ، وقال عنه المعاصرون انه كان حسن العشرة ، محمود المباشر ، جميل الصورة طلق المحيا ، موفور العلم وله مهابة[2]، وقد استقر في حسبة مصر وباشرها عام (780هـ/1378م) ، ثم خلع عنها بالسيد علي نقيب الأشراف سنة 782هـ / 1380م ، وصلاح الدين خليل عبد المعطى عبد المحسن ، الذي استقر في حسبة مصر عام 783هـ / 1381م عوضا عن ابن عرب بمال التزم به ، واستفظع الناس ذلك " وعدوه بلاء ونقمه لسؤ سيرته ونذالته " وضربه مشير الدولة ورفض ولايته للحسبة[3] فخلع عنها بعد ذلك وأعيد ابن عرب ثانيا ، بوعد أهل الدولة بالمال الذي عجز عن سداده[4].

(38) شمس الدين الشاذلي (ت 810هـ/1408م):-

تولي حسبة مصر بمال عوضا عن شعبان بن محمد الاثارى ، الآتي ذكره في حينه ، عام 800هـ / 1398م ولكن ما أن تولي حتى فرمن المسؤلية بسبب " مطالبة أرباب الديون بمالهم[5]" ، ثم عاد إليها ولكنه عزل بكريم الدين الهوى عام 805هـ / 1402م ، وقد تولي حسبة القاهرة كذلك رغم كونه من العوام ، أصله " خردفوشيا ثم بلانا بالا سكندرية " فترقي بالرشوة وبذل المال ، ونال الحسبة عدة مرات ، وقال معاصروه : انه كان جهولا " عارياً من العلم[6]" .

---

(1) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج3 ص 449، 457. ابن حجر: الدرر الكامنة، ج 2 ص 48.

(2) ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج6 ص 39.

(3) المقريزي:السلوك في معرفة دول الملوك، ج3 ص 454. ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج2 ص 50.

(4) المقريزي:السلوك في معرفة دول الملوك،ج3 ص468. ابن حجر العسقلاني:إنباء الغمر،ج1ص265، ج2 ص 4.

(5) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج3 ص 898، 901.

(6) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج4 ص ، ص11، 29، 38، 43، 64، 65. ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج6 ص 83.

(39) شمس الدين محمد بن عبد الخالق المناوئ (ت 813هـ/1410م):-

المعروف ببدنه وبالطويل، ربما لطوله الشديد، استقر في حسبة القاهرة عام 809هـ / 1406م ، ثم عزل وأعيد مرات عديدة ، وكان بيده أيضا وكالة بيت المال ونظر الأوقاف والكسوة وصفة المعاصرون بقلة المعرفة وانه غاية في جهل المباشرة[1] .

(40) كريم الدين محمد بن نعمان الهوى (ت 813هـ/1313م):-

تولي حسبة القاهرة عام (805هـ/1402م) ثم عزل بشمس الدين بن شعبان الجابي بعد ذلك بعام ، ولم يرضي المعاصرون عن أداء كريم الهوى ، فقد كان " من فضائح الزمان " إذ حظي عند الناصر فرج بمنادمته و "بالمسخرة ، فولي الحسبة مرارًا " ، وأشار عليه بفتاوى ونصائح فاسدة ، مثل اخذ تركة المتوفى إلي الديوان السلطاني ، فظلم أسرته الخاصة وحرم أبناءه بمشورته ، فقد "عوملت تركته بذلك" بعد وفاته[2].

(41) القاضي شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الله بن عبد الملك الدميري المالكي (ت813هـ/ 1410م):-

ولي الحسبة بالقاهرة عوضا عن ابن المفسر عام (776هـ/ 1375م) ، ونظر الاحباس ، وثارت العامة ضده فخلع عن الحسبة عام (779هـ / 1377م) ، وعزل عن حسبة مصر التي كانت بيده كذلك سنة 782هـ / 1380م ، وتعرض لنقمة العوام وهموا برجمه ففر واختفي في بيته[3].

لم يكن محمود التصرف في حسبته وطالب الناس بعزله أكثر من مرة ، وقد ولي الحسبة وعزل غير مرة ، وكان بيده أيضا نظر الاحباس والبيمارستان وقضاء العسكر ، ولم ينتقل في هذه الوظائف حتى وفاته ، وصفة المعاصرون بأنه " كان عاريًا من العلم[4]".

---

(1)المقريزي:السلوك في معرفة دول الملوك،ج4 ص 169، 170. السخاوي: الضوء اللامع، ج9 ص135.

(2) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج4 ص169 – 170. ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج6 ص 256، 260– 262. السخاوي: ضوء اللامع، ج10 ص7.

(3) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج3 ص 232، 239، 255، 314، 378، 391، 395. ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج1 ص 199.

(4) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج4 ص 170. أبو المحاسن: المنهل الصافي، ج9 ص 275، الصيرفي: نزهة النفوس، ج2 ص 379، السخاوي: ضوء اللامع، ج6 ص329.

(42) قاضي القضاة شرف الدين محمد بن محمد الدماميني السكندري (ت 813هـ/1410م):-

كان ناظرا للأسواق حتى خلع بالصاحب علم الدين سن إبرة عام 788هـ / 1386م ، وعزل من حسبة الإسكندرية ثم استقر في حسبة القاهرة عام 797هـ /1395م ، وثارت ضده العامة بسبب أزمة الخبز ، فاختفي لثلاثة أيام سنة (798هـ /1396م[1]) ، ومع ذلك ذكرته المصادر بأنه " كان رئيسا فاضلا " وقد ولي قضاء الإسكندرية ووكالة بيت المال ثم نظر الديوان ونظر الأسواق وولي حسبة القاهرة أكثر من مرة[2].

(43) جمال الدين يوسف بن محمد النحاس المعروف بابن القطب (ت 815هـ/1412م):-

سعي في تولي حسبة القاهرة ، فتولاها وباشرها " مباشرة غير محمودة " وناب في الحكم ، وقالت عنه المصادر انه " كان عريا عن العلم[3]".

(44) شمس الدين محمد بن الحاج عمر بن شعبان الجابي:-

استقر في حسبة القاهرة عام 815هـ / 1412م ، بعد دفع مبلغ " خمسمائة دينار دفعة واحدة معجلة ، وفي كل شهر مائة دينار[4]"، وذكرت المصادر أن ابن شعبان هذا ولي الحسبة زيادة علي العشرين مرة كلها بالبذل ، وكان دائما ما يعزل منها "مزمومًا لقبح سيرته"، وعندما عاد إلي الحسبة عام 819هـ / 1416م بعد خلع العيني عنها ، علق علي ذلك بقوله " عزل صاحب هذه السيرة عن وظيفة الحسبة وعوض عنه من لا يصلح أن يذكر في التواريخ[5]" .

---

(1) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج3 ص 544، 709- 710، 839، 850،- 852، 860. أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج12 ص 119.

(2) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج13 ص 23، 24.

(3) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج4 ص 257.

(4) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج4 ص 1196، 235، 235. ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج6 ص 261. بدر الدين العيني: السيف المهند، ص 317.

(5) بدر الدين العيني: السيف المهند، ص 343 – 345. المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج4 ص 352، 363. ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج7 ص 205. ابن إياس: بدائع الزهور، ج2 ص 25.

(45) الأمير علاء الدين اقبغا بن عبد الله الظاهري:-

المعروف باقبغا شيطان (ت821هـ/1418م)، ولا نعرف سببا لهذه التسمية إلا أن يكون عنفه الشديد أثناء توليه لشرطة القاهرة وحسبتها في أيام المؤيد شيخ ، وكان كذلك شاد للدواوين ، ولم يكن جبارا ولكن اتسم أدائه بالحزم والشدة ، وقال عنه المعاصرون " كان يحسن المباشرة " وعنده " نباهة ومعرفة ، مع ظلم وعسف ، إلا انه كان عفيفا عن المنكرات .." ، وقد قبض عليه مع الوزير أرغون شاه ورسم عليهما لاستخراج مال منهم ، وقتل في العام المذكور[1].

(46) شرف الدين محمد بن علي الجيزي أو الجيري (ت 823هـ/ 1420م):-

كان من باعة السكر في الأسواق ، واستطاع بالبذل أن يرتقي إلي تولي حسبة القاهرة عام (808هـ/1405م) عوضا عن شمس الدين محمد بن ألمنهاجي ، " فكان هذا من أشنع القبائح وأقبح الشناعات " ، بل انه استطاع أيضا الجمع بين حسبتي مصر والقاهرة عام (810هـ / 1407م[2]) .

وذكرت المصادر أنه: "كان من شرار العامة يتمعش بنيابة الحكم عند المالكية بمصر " وكانت له واقعة جرم اقترفه وكاد أن يقتل ولكن حقن دمه وعذر بالضرب والحبس ، ثم صار يبيع السكر بالقاهرة ، واستطاع أن يحصل بالمال علي الحسبة بالقاهرة ومصر أكثر من مرة ، وقد اشتهر " بقبائح من السخف والمجون وسؤ السيرة[3]" .

(47) بهاء الدين محمد بن بدر الدين حسن بن عبد الله المعروف بابن ألبرجي (ت 824هـ/1421م):-

أخذ حسبة القاهرة بعد إزاحة الدماميني عنها بالبذل عام (799هـ/1396م) ، ذلك انه دأب علي برطلة أهل الدولة و " لم يلي قط إلا بمال " ، فكرهه الناس وتشاموا من ولايته للحسبة ، وكان

(1) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج4 ص 437 – 439، 441، 474. أبو المحاسن: المنهل الصافي، ج2 ص 484، النجوم الزاهرة، ج14 ص 151. السخاوي: الضوء اللامع، ج2 ص 318. ابن إياس: بدائع الزهور، ج2 ص 37 – 38.

(2) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج4 ص 11، 29، 38، 43، 64، 65. ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج6 ص 83.

(3) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج4 ص 543.

من السهل علي منافسيه أن يدفعوا لأوباش العامة ليرجموه ويطالبوا بعزله ، كما فعل المخانسي الذي فرق مائتي درهما فيهم للمطالبة بخلعه وولاية المخانسي عوضه ، وتم له ما أراد فخلع ابن ألبرجي في نفس اليوم قبل أن يستقر محتسبا للقاهرة[1]، ومع ذلك فان بهاء الدين ابن ألبرجي هذا ولي حسبة القاهرة أكثر من مرة ، ومعها وكالة بيت المال ونظر الكسوة ، وكان أبيه قاضيا بالمحلة في الوجه البحري ، ومات عن ثلاثة وسبعين عاما ، غير مشكور السيرة[2] .

(48) تاج الدين عبد الوهاب بن الجباس (ت 824هـ/ 1421م):-

ولي حسبة القاهرة ابتداء عام 807هـ / 1405م ، ولم يجد المقريزي ابلغ من وصف جهله وسؤ مباشرته لولايتها إلا بقوله " كان عاميا في هيئة فقيه[3]".وتاج الدين محمد بن علي أحمد بن علي المعروف بابن المكللة (ت 829هـ/1427م)، ويبدو من كنيته عدم حب الناس له عرف بأنه ربيب الشيخ ابن جماعة ، وقد تولي حسبة القاهرة عوضا عن الطويل عام 809هـ / 1407م بعد أن دفع ألفا من الدنانير الذهبية لشرائها، قالت عن المصادر : ولي الحسبة "فلم ينجب وخمل حتى مات " فوجدوه خاملا غير مثمر ولا منتج لخير في مباشرته[4].

(49) شمس الدين بن يعقوب النحاس الدمشقي(ت831هـ/1427م):-

ذكر المقريزي أنه كان من عامة دمشق ، تشفع به عندما سافر إلي هناك سنة 810هـ / 1407م في أن يلي حسبة الصالحية ، ثم قدم إلي القاهرة فتولي الحسبة بها سنة 812هـ / 1409م ، ووزر بدمشق بعد ذلك " فلم تحمد سيرته ، ولا شكرت طريقته[5]"، وذكرت المصادر انه دفع في تولي حسبة القاهرة سنة 820هـ / 1417م نحو عشرة آلاف دينارا علي هيئة هداية عينية[6].

(1) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج3 ص 871 ، 872، 875.
(2) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج4 ص 597.
(3) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج4 ص 598.
(4) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج4 ص 43، 730. أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج15 ص 137، الصيرفي: نزهة النفوس، ج2 ص 228. أحمد عبد الرازق: البذل، ص120.
(5) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج4 ص 785. ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج8 ص 165.
(6) ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج8 ص 165. السخاوي: الضوء اللامع، ج10 ص 87.

(50) شمس الدين محمد بن سعيد بن عبد الله المعروف بسويدان الأسود (المتوفى عام 832هـ / 1428م):-

كان أحد قراء الأجواق قبل أن يرتقي لنيل (الحسبة الشريفة) كما يطلق عليها بمصطلح العصر، فقد نشا طفلا لأحد العبيد السود يسكن القرافة ، وحفظ القران الكريم لتلاوته مع أجواق القراء المحترفين، فأعجب الظاهر برقوق بصوته فجعله أحد أئمته، ثم ولاه الناصر فرج بن برقوق حسبة القاهرة، وعندما عزل عنها عاد إلي حرفته في القراءة علي أهل المتوفيين بالقرافات، يتعيش من القراءة في الأجواق ومات وهو رئيس جوقة[1] . و{إنا لله وإنا إليه راجعون} في الحسبة والمحتسب معاً.

(51) صارم الدين إبراهيم ابن الأمير الوزير ناصر الدين محمد بن الحسام الصقري (ت833هـ/1429م):-

خلع عليه بحسبة القاهرة سنة (823هـ/ 1420م) ، فلم يخلع زيه الطبقي وباشرها بزى الجند ، عرف عنه حبه الأدب وأهل الفضائل ، وطلب العلم وتعلم الحساب ، وكتب الخط البارع المنسوب[2] ، ولكن قالت المصادر انه " قد التزم بحمل ألف دينار ، يجبيها من الباعة ونحوهم ، فلم تحمد مباشرته[3]".

(52) أحمد بن محمود بن محمد بن عبد الله:-

العلامة صدر الدين بن قاضي القضاة جمال الدين محمود القيصري العجمي (777هـ - 833هـ / 1375م – 1429م) محتسب القاهرة وشيخ الشيخونية ، ولد ونشا بالقاهرة ، ولازم علماء عصره وبرع في الفقه والأصول والعربية ، ودرس وأفتي وتولي عدة وظائف منها حسبة القاهرة غير مرة ، ونظر ألجوالي والجيش ومشيخة الشيخونية بخط الصلبية ، مدحه المعاصرون بأنه

(1) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج4 ص 812.

(2) المقريزي:السلوك في معرفة دول الملوك،ج4 ص 843.ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر،ج8 ص 205.

(3) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج4 ص 533، 534

" من فقهاء الحنفية الأذكياء الفضلاء .. وكان عنده حذق وذوق ومحاضرة حسنة ، وكرم وتواضع ، مع بلاغة وفصاحة عبارة ، وإقدام وطلاقة لسان " ، وله معرفة جيدة بالنحو ، بحاثا ذكيا حاضر البديهة في أعماله وأمره[1] .

حظي صدر الدين العجمي بنصيب وافر من أخباره في المصادر ، نذكر منها انه في عام 815هـ / 1412م وعد بدفع مبلغا من المال ليتولي حسبة القاهرة ، وشدد عليه بعد ذلك بعام حينما تأخر في نحو ألف دينار متبقية مما وعد به أهل الدولة ، فباع موجودة وسدد ثلاثمائة دينار وعجز عن الباقي ، فقرر في نظر المواريث علي أن يحمل متحصلاته إلي الخزانة[2].

وتعرض في موقف آخر لغضب السلطان عليه بسبب نقله كلاما عن لسانه اغضب علماء الدين ، وعندما عفي عنه وعاد إلي حسبة القاهرة مرة أخري عام 823هـ / 1420م " فرح الناس به فرحا كبيرا لمحبتهم إياه ، وبالغوا في إظهار السرور به[3] ".

وأضيف إليه حسبة مصر بعد ذلك " وانعم عليه بصرة فيها ثمانون دينار " ، وباشر التوقيع في ديوان الإنشاء ، كما رسم له علي ديوان الجوالي في كل يوم دينار[4] ، وولي الحسبة مراراً .

وعلي كل الأحوال كان رأي المعاصرين طيبا في هذا المحتسب صدر الدين العجمي ، وشكرت معظم المصادر سيرته وأدائه في مجمله ، ما عدا بدر الدين العيني الذي كان منافسا شديدا له في ولاية الحسبة ، و لهذا نتفهم كرهه له وتجنيه في الحكم عليه ، إذ قال في مؤلفه : "وكان حصل بعض

(1) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج4 ص 848. أبو المحاسن: المنهل الصافي، ج 2 ص 212، 213، النجوم الزاهرة، ج15 ص 167، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج7 ص 202. السخاوي: الضوء اللامع،ج 2 ص 223.

(2) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج4 ص 257. ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج7 ص 46، 76، 102، 110. السخاوي: الضوء اللامع،ج2 ص 223-224.

(3) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج4 ص 499 – 500، 522-523. ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج7 ص 346.

(4) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج4 ص 565، 583، 594. ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج8 ص208. ابن إياس: بدائع الزهور، ج2 ص 65.

مادة من العلوم .. ولم يكن له معاشرة جميلة ، وأكثر الناس كانوا يكرهونه ، تولي وظائف كثيرة ، ولم يخرج من وظيفة منها بخير ولا شكر ، تولي الحسبة بالقاهرة في أيام المؤيد ، فخرج منها خايفا مذموما ، وتولي نظر الجيش بدمشق وعزل منه بالضرب والعصر والمصادرة .. فاخر الأمر تولي مشيخة خانقاه شيخون ، فاخذ من وقفها مقدار سبعين ألفا ، ومات فثبتت في ذمته " ،وإذا كان رأي العيني وحده هو المختلف ، فيكون حكم التاريخ في صالح هذا المحتسب، الذي أحبه الناس وشهدوا له .

(53) زين الدين محمد بن محمد بن شمس الدين محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الملك الدميري (المتوفى عام 833هـ / 1430م):-

وهو ابن القاضي شمس الدين الدميري الذي توفي سنة 813هـ / 1410م ، وتولي حسبة القاهرة بعد أبيه ،ونظر البيمارستان المنصوري ، وكان من الفقهاء المالكية وله معرفة بالعربية ، وباشر مسؤوليته علي نحو حسن ، قال عنه المعاصرون: "حسن الصورة، له قبول تام عند الناس لكثرة حشمته[1] ومات ولم يتجاوز الخمسين من عمره.

(54) شمس الدين محمد بن علي بن المعلمة السكندري (ت 833هـ/1430م):-

القاضي المالكي ، ولي حسبة القاهرة مدة ، " وكان فاضلا مشاركا في العربية وغيرها[2]" ، ولكن لم تذكره المصادر كثيراً.

(55) الأمير علاء الدين منكلي بغا ألصلاحي(ت 836هـ/1432م):-

هو من جملة مماليك الظاهر برقوق ، وكان أول تركي يلي الحسبة بالقاهرة أيام المؤيد شيخ وتعرض للسجن وهو محتسبا ثم أطلق سراحه سنة 817هـ / 1414م بعد أن قرر عليه مالا[3]، ثم عزل عن الحسبة وصار من جملة الحجاب، وقد أرسل كمبعوث من قبل الناصر فرج إلي تيمورلنك "

(1) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج4 ص 196. ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج8 ص221. السخاوي: الضوء اللامع، ج10 ص195.

(2) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج4 ص 849. ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج8 ص221. السخاوي: الضوء اللامع، ج10 ص 107.

(3) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج4 ص 290. ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج7 ص110.

وكان يدري طرفا من الفقه ، ويكتب الخط الجيد[1]" وذكر العيني انه : " ولي الحسبة في أيام الملك المؤيد ، ثم عزل وصودر ، واخذ منه مبلغ كبير .. وكان يكتب خطا حسنا ويتكلم بالعجمية والتركية .. ومع هذا لم يكن مشكور السيرة " . ويبدو أن جميع المحتسبين المنافسين للشيخ العيني كانوا غير صالحين لمباشرة الحسبة وغير أهلا لها .

(56) شعبان بن محمد بن داود المصري الاثاري(ت838ه/1435م):-

ينتسب اسمه للآثار النبوية لكونه أقام بها مدة ، وكان " قد تعاني الخط المنسوب ، فجاد خطه " وحصلت له لوثة من سكر ثم تماثل وطلب العلم ، وكتب الشعر فهجا به الناس ، وعمل موقعا للحكم بمصر ، ودفع مالا للحصول علي الحسبة فنالها ثم عزل عنها سنة (800هـ/1398م)، بسبب وجود من يشتكون ويدعون علية بقوا دح ، فخلع عن الحسبة ولاقي " اهانة بالغة " ، ويتعجب المقريزي من سلوك هؤلاء الأشخاص الذين يظهرون الشماتة ببعضهم البعض رغم أن جميعهم يطالهم الخذي من سوء تصرفهم ، فقد نادي الاثاري هذا في الأسواق بعزل الدماميني شامتا " فاتفق له هذا من الغد"[2] ، وقد استدان لبذل المال من اجل شراء الحسبة كما ذكرنا ، ففر من الدائنين وتوجه إلي مكة المكرمة " واظهر بها من القبائح ما لا يجمل ذكره " ثم عاد إلي القاهرة ليهجو بشعره السئ ما شاء له عقله المريض أن يفعله ، وظل علي سلوكه المعيب هذا حتى وفاته ، وكان مقترا علي نفسه فترك مالا ، قيل قد بلغ نحو خمسة آلاف ديناراً[3].

(57) الأمير تاج الدين عمر بن سينا القازاني ثم الشويكي(ت839هـ/1435م):

تولي حسبة مصر بلاضافة إلي ولاية القاهرة ومصر والحجوبية عام 826هـ / 1423م ، وباشر بسوء تصرف للحسبة إذ قالت المصادر أن الناس ضاقت به " فانطلقت الألسنة بكل سوء في حق التاج ، ولم يبق إلا أن يرجم ، فاختفي[4]" ، ولكن أقيمت له جنازة مهيبة عندما توفى.

---

(1) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج4 ص 899 – 900. ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج8 ص 294 -295.

(2) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج3 ص 898، 901.

(3) ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج8 ص82 – 84. السخاوي: الضوء اللامع، ج3 ص 301، 302.

(4) المقريزي:السلوك في معرفة دول الملوك،ج4ص290،331–334.ابن حجر العسقلاني:إنباء الغمر،ج7ص150.

(58) الأمير صلاح الدين محمد بن الصاحب الأمير بدر الدين حسن بن نصر الله (791-841هـ/1389– 1438م):-

خلع عليه واستقر في حسبة القاهرة سنة 835هـ / 1432م عوضا عن العيني ، وكان قد نكب هو ووالده وصودر منهما مالا كبيرا إلا أنهما لم يمسا بسؤ أو إهانة ، وكان بيده نظر الأوقاف ودار الضرب وكتابة السر ، وتقول المصادر انه قد نشا بزي الأجناد وتعلم الحساب فبرع فيه وكتب الخط المنسوب ، ونظر الجيش مع والده والخاص والوزارة مثله " وشكرت مباشرته لذلك ، بما طبع عليه من لين الجانب ، وطيب الكلام ، وبشاشة الوجه ، وحسن السياسة "

ولي الاستدارية وصار من جملة أمراء المؤيد شيخ وططر ، ثم كان ما ذكر من أزمته ، وبعد عودته ولي حسبة القاهرة وترقي عند أهل الدولة ، وقال عنه المعاصرون : قد " شكرت خصاله ، ولم يسلك من الطمع واخذ الأموال من الناس ما سلكه غيره بل عف وكف ، وأفضل وزاد في الأفضال[1]".

(59) الأمير سيف الدين دولات خجا بن عبد الله الظاهري (ت 841هـ/1437م):-

رغب السلطان في تولية رجل شديد البأس " ولا يخاف الله " فأمر بخلع الحسبة علي الأمير دولات خجا بعد وفاة الأمير صلاح الدين بن نصر الله " رغبة من السلطان في جبروته وقسوته ، وشدة عقوبته وقلة رحمته[2]"، وكان دولات خجا هذا من أصاغر مماليك الظاهر برقوق الذين " كانوا لا يؤبه إليهم " حتى جعل واليا بالقاهرة لكثرة الزعار بها ، ولكنه اظهر من العسف والظلم مالا يمكن وصفه ولا يليق ذكره، فعزل عن الولاية واستقر في الحسبة" فاظهر في حسبة القاهرة أيضا من الظلم والعقوبة للباعة ، ما هو مشهور عنه"، وأجمعت المصادر علي كونه" وضيعا في الدول ، وعنده ظلم وعسف وجور ، إلا انه كان قليل الطمع .. "وكان جباراً فتاكا" كثير الشر ، يصفه من يعرفه بأنه ليس بمسلم ، وأنه يخاف الله[3]" .

(1) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج4 ص 1011، 1012، 1046. ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج9 ص 25 -26.

(2) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج4 ص 1033.

(3) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج4 ص 1036. ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج9 ص 21. أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج15 ص 217، المنهل الصافي،ج5 ص 330- 331.الصيرفي: نزهة النفوس، ج3 ص 417. السخاوي: الضوء اللامع، ج3 ص 221. ابن إياس: بدائع الزهور، ج2 ص 186.

(60) نور الدين ألسيفي إمام الأشراف (ت 842هـ/1438م):-

خلع عليه واستقر في حسبة القاهرة عوضا عن دولات خجا بحكم وفاته سنة 841هـ / 1437م ، وكان من الأشراف ولكن لم تكذر المصادر أكثر من سنة توليه الحسبة، وعام وفاته الذي قرر فيه الأمير تنم الخازندار عوضه في وظيفة الحسبة كذلك . والمحتسب الأمير تنم المؤيدى هذا خلع بالبدر العيني فيما بعد سنة 844هـ / 1440م ما سوف نعود إليه في حينه.

(61) الشيخ تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن علاء الدين بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن تميم بن عبد الصمد المعروف بالتقي المقريزي (766هـ - 845هـ /1364م – 1441م):-

البعلبكي الأصل القاهري المولد والنشأة ، يرجع اسمه إلي حارة (المقارزة) بالشام ، وجده كان من كبار المحدثين وقدم والده إلي القاهرة وتولي عدة وظائف قضائية بها . وقد نشا المقريزي حنيفا علي مذهب جده لامه العلامة شمس الدين محمد بن الصايغ المتوفى سنة (776هـ/1374م) ، ثم تحول بعد ذلك إلي الشافعية ، ودرس وتفقه وبرع في الفقه والحديث ، وصنف المؤلفات الكثيرة المفيدة والجامعة لكل علم[1].

تولي حسبة القاهرة غير مرة ، أولها سنة 801هـ / 1399م عوضا عن شمس الدين البجاسي المتوفى سنة (806هـ / 1406م) – السابق ذكره – ثم عزل ببدر الدين العيني المؤرخ المعروف (ت 855هـ / 1451م) ، وقد تنافسا معا مدة ثم استعفي المقريزي من تلك الوظيفة ذات المسؤولية الكبيرة ، التي لم يكن يرغب فيها ، حيث ذكر في كتابة انه قد عاد " إلي حسبة القاهرة مكرها ، بعد مراجعة السلطان ثلاث مرارا "، وتقول عليه المنافسون بما لا يليق ، حيث روى العيني أن الأمير سودون الدوادار عندما احتاط علي موجود احدهم ، أراد بيع غلة من شونته تساوى خمسة وثلاثين درهما بستين درهم ، فرفض البدر العيني محتسب القاهرة وقتئذ وعزل نفسه ، فلم يجد أحدا يقبل بهذا الظلم والخسران سوي احد (اللئام) هو التقي المقريزي ، فخلع عليه بالحسبة ليتم له ما أراد.

(1) أبو المحاسن: المنهل الصافي، ج1 ص 415 – 420. السخاوي: الضوء اللامع، ج10 ص 38.

اعتزل المقريزي الحسبة تماما وولي عدة مناصب دينيه ، وانقطع في بيته ولازم الخلوة إلا من الصحبة الجيدة كابي المحاسن بن تغري بردي ، الذي قرأ عليه كثيرا من مصنفاته التي تفرغ لكتابتها ، والتي انفردت في قدرها و أهميتها بما يضيق المقام هنا عن ذكره . وقد امتدحه معاصروه وقدروه وكتبوا كثيرا عن فضله وعلمه ، وفيما يلي نورد أقوال بعض ممن اقترب منه وتعلم وأحب هذا الرجل الذي قل الزمان أن يجود بمثله . يقول عنه تلميذه وصفيه أبو المحاسن بن تغري بردي : " الإمام العالم البارع عمدة المؤرخين ، وعين المحدثين .. و كان إماما مفننا ، كتب الكثير بخطه ، وانتقي أشياء وحصل الفوائد ، واشتهر ذكره في حياته و بعد موته في التاريخ وغيره حتى صار به يضرب المثل وكان له محاسن شتي ، ومحاضرة جيدة إلي الغاية .. "

كما قال " حلو المحاضرة ، فكه المنادمة .. معظما في الدول مبجلا عند الأكابر إلي الغاية[1]" ، وقال عنه الشيخ ابن حجر العسقلاني : " كان إماما بارعا مفننا متقنا ضابطا دينا خيرا،محبا لأهل السنة يميل إلي الحديث والعمل به .. حسن الصحبة،حلو المحاضرة[2].. "

وينعته المؤرخ ابن إياس بأنه " العلامة مؤرخ العصر ووحيد الدهر .. وكان عالما فاضلا بارعا في الفقه والحديث .. وله عدة تصانيف في التواريخ .. وكان حسن المذاكرة ، صحيح النقل .. ريسا حشما .. وكان عند الناس معظما جدا[3]" .

وشكر فيه كل من عرفه إلا منافسه العنيد بدر الدين العيني الذي ذكره بكثير من التجني والمغالطة ، حيث قال انه " كان مشتغلا بكتابة التواريخ ويضرب الرمل" ، ولكن هذا بتأثير المنافسة فلا يجب أن " يسمع كلام الأقران في أقرانهم " كما أشار أبو المحاسن وأضاف عاقدا بينهما مفاضلة لصالح شيخه وصديقه الراحل الكبير " وأما التباين الذي كان بينهما فمعروف".

---

(1) ابن إياس: بدائع الزهور في حوادث الدهور، ج1 ص 39 – 41. أبو المحاسن: المنهل الصافي، ج1 ص 415 – 420.

(2) ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج9 ص 170 – 172.

(3) ابن إياس: بدائع الزهور، ج2 ص 231 – 232.

(62) القاضي بدر الدين حسن بن نصر الله بن حسن بن محمد الادكوي الفوي (ت846هـ/1442م):-

كان رئيسا حشمًا من الأعيان الرؤساء بالديار المصرية ، تولي الوزارة ، ونظر الخاص ، والاستادارية ، وكتابة السر، وحسبة القاهرة، وكان هو وولده صلاح الدين السابق ذكره والمتوفى بالطاعون عام 841هـ / 1438م من رؤساء مصر الصالحين الذين تولوا حسبة القاهرة وأحسنوا مباشرتها[1].

(63) القاضي جمال الدين محمد بن أبي حفص أبي الحسن القرشي الطنبدي الأصل القاهري الشافعي (ت846هـ /1443م):-

عرف بابن عرب الطنبدي، نشأ بالقاهرة وحفظ القرآن واشتغل يسيرًا ، ودرس صحيح البخاري ومسلم علي شيوخ عدة ، وعمل بالتوقيع، ووليحسبة القاهرة ووكالة بيت المال، أكثر من مرة، عمر حتى اثنين وتسعين عاما، فكان بهذا العمر أقدم من بقي من طلبة العلم ونواب الشافعية.

(64) القاضي جمال الدين محمد بن أبي حفص أبي الحسن القرشي الطنبدي الأصل القاهري الشافعي (ت 846هـ /1443م):-

عرف بابن عرب الطنبدي ، نشا بالقاهرة وحفظ القران واشتغل يسيراً، ودرس صحيح البخاري ومسلم علي شيوخ عدة، وعما بالتوقيع قديما وناب في القضاء، وولي حسبة القاهرة ووكالة بيت المال أكثر من مرة عمر حتى اثنتين وتسعين عاما فصار بذلك أقدم من بقي من طلبة العلم ونواب الشافعية.

(65) الأمير سيف الدين أينال بن عبد الله الششماني الناصري (ت 851هـ/1447م):-

أتابك عسكر دمشق، أصله من مماليك الناصر فرج نال الإمرة في عهده ثم نكب من بعده وسجن وأطلق بعد موت المؤيد شيخ، وأصبح من رؤوس النوبة في دولة الاشرف برسباى ، ولي حسبة القاهرة وباشرها سنين ثم عزل وباشر بعد ذلك نيابة صفد واتابكية دمشق في عهد الظاهر جقمق ، واستمر حتى وفاته ، وقالت عنه المصادر : "كان أينال المذكور متدينا عفيفا إلا انه كان بخيلا جبانا" وقال آخرون انه كان لا باس به.

(1) ابن إياس: بدائع الزهور، ج2 ص 234 – 235.

(66) شيخ الإسلام قاضي القضاة بدر الدين أبو الثناء محمود ابن القاضي شهاب الدين أحمد بن موسي بن أحمد بن حسن بن يوسف بن محمود العنتابي الحنفي (762هـ - 855هـ/1361م – 1451م):-

نشأ بعينتاب وتفقه علي والده الذي كان قاضيا بها ثم رحل إلي حلب بعد وفاة أبيه ودرس الفقه علي شيوخ عدة هناك ، وقدم القاهرة سنة (788هـ/1386م)، وخدم بالمدرسة الظاهرية واشتهر بفضله وعلمه بين الطلبة ، ثم تولي حسبة القاهرة عام (801هـ/1399م) عوضًا عن الشيخ تقي الدين المقريزي " فمن يومئذ وقعت العداوة بينهما إلي أن ماتا " ثم صرف وتولي الحسبة مرارًا إلي أن كان أخرها سنة (846هـ/1443م)، وكان ناظرا للاحباس في دولة المؤيد شيخ ، وحظي عند الاشرف برسباي " وعظم عنده إلي الغاية ، وصار ينادمه ، ويقرا له التواريخ .. " ويعلمه دينه لأنه كان فصيحا بالتركية كما العربية . قال المعاصرون عنه انه : " كان إماما فقيها أصوليا ، نحويا لغويا بارعا في علوم كثيرة " وأفتي ودرس سنين عديدة وصنف الكتب المفيدة.

وعن منافساته للآخرين في الحسبة يقول العيني في مخطوطه " خلع علي يا رعلي العجمي واستقر في حسبة القاهرة و كان معه حسبة مصر ، فجمع بينهما عوضا عن مسطره بحكم عزله " ، وفي كتابه السيف المهند ، ذكر أن السلطان المؤيد شيخ عام 819 هـ " خلع علي مؤلف هذه السيرة بحسبة القاهرة".

أما المقريزي فيروي في أحداث عام (828هـ/1425م) عن حادثة شنعاء ذلك انه عندما خرج البدر العيني محتسب القاهرة قاصدا القلعة " صاحت عليه العامة، واستغاثوا بالأمراء وشكوا إليهم المحتسب .. فطلع إلي القلعة وهو خائف من رجم العامة له " وشكاهم إلي السلطان الذي كان يختص به ويقرا له تواريخ الملوك ، فأرسل عسكره للقبض علي الناس وضربهم ، فمسك جماعة كبيرة منهم نحو اثنين وعشرين رجلا " من المستورين ما بين شريف وتاجر " وضربهم الوالي وقطع آذانهم وأنوفهم وسجنهم ثم أفرج عنهم " فتنكرت القلوب من اجل ذلك"

وكان المقريزي يأخذ علي العيني أدائه الضعيف تجاه الباعة في مباشرته للحسبة.

(67) الأمير سيف الدين جانبك بن عبد الله اليشبكي الساقي (ت857هـ/1453م):-

كان واليا للقاهرة ثم نال الزردكاشية ، تولي حسبة القاهرة بالإضافة إلي الحجوبية وشد الدواوين سنة 853 هـ / 1450م ، وقالت عنه المصادر : " كان جانبك .. شابا ظريفا .. وفيه ذكاء وفطنة ، وعنده مشاركة ومذاكرة حلوة ، وكان متجملا في مركبة وملبسه ومماليكه ، وبالجملة كان نادرة في أنباء جنسه " .